إشكالية مصطلح "الدلالة " ومقوّماته في التراث الإسلامي

د. إدريس بن خويا
أ. فاطمة برماتي
جامعة أحمد دراية أدرار – الجزائر

ملخّص:

تعدّ الدلالة ركيزة الدراسات اللسانية، وهي حاضرة حضورا إلزاميا في المستويات اللسانية؛ الصوتية، والصرفية، والنحوية، والمعجمية، وأنّها لم تكن من انشغالات اللغويين فحسب، وإنّما اشتغل بها كلّ من تكلّم باللسان العربي، فلا نجد عالما مفسّرا أو نحويا أو منطقيا أو أصوليا إلاّ وتعامل معها بالبحث والاهتمام.

ونتيجة للطرح المصطلحاتي المختلف للدلالة بين سائر العلماء، وقع اختيارنا على عالم جليل في الدرس الأصولي؛ ألا وهو العلامة ابن قيم الجوزية الذي ترك لنا مؤلّفات هامّة ومتنوّعة المعارف والعلوم ليدلي هو الآخر بدلوه في بحر الدلالة لعنايته بالخطاب القرآني والسني، ورغم بحوثه المستفيضة في هذا الجانب إلاّ أنّنا خصّصنا الحديث –فقط- حول مصطلح الدلالة عنده والمعاني المتعدّدة التي حملها المصطلح، ومنه جاءت محاور البحث كالآتي:

-مفهوم الدلالة عند العرب

-مفهوم الدلالة عند الغرب

-مفهوم الدلالة عند ابن القيم

- المصطلح الدلالي عند ابن القيم، مع تفرقته بين الدَّلالة والدِّلالة؛ ومن تلك المصطلحات نجد: القصد، الهداية، الإرشاد، البيان، شاهد الحال، التعريف، الإعلام، الفهم.

-الكلمات المفتاحية: الدلالة – القصد – الفهم – البيان – الإعلام.

Summary:

The significance pillar linguistic studies, the present attendance mandatory in linguistic levels; audio, morphological, syntactic, lexical, and they were not from the concerns of linguists, but worked out both spoke Arabic tongue, we do not find a scientist explaining or grammatically or logically or fundamentalist only and deal with research and attention.

.مقدّمة:

لقد كان الاهتمام بالبحث الدلالي عند العرب منذ نزول القرآن الكريم على خير البرية سيدنا محمد ﷺ، فكانت عنايتهم منصبة حول فهم ألفاظه، والوقوف على أسراره ومضامينه. ومن ثمّة تسارعت إلى ذلك عدة علوم لأجل تدارسه؛ منها علم التفسير، علم اللغة، علم البلاغة، علم أصول الفقه؛ باعتبار أن الدلالة لم تكن محصورة عند اللغويين فحسب، وإنّما اشتغل بها كلّ من حاول الوقوف على ثنائية اللفظ والمعنى، إلاّ أن كلّ عالم نظر إليها من زاويته الخاصّة.وإنّ جهود العرب القدامى في ذلك شأنهم شأن الدارسين المحدثين؛ سواء كانوا عربا أم غربيين. وإنْ كانت جهودا مبكرة، إلاّ أنّها حاولت -قدر الإمكان- إرساء معالم هذا العلم باعتباره أن لم يحدّد كعلم له ضوابط وأسس إلاّ مع بدايات الدراسات اللغوية الحديثة. ولكنّ الشيء الذي

لا بدّ من قوله، هو أنّ معالمه الأولى، ولبناته الأساسية لم تبزغ إلاّ عند الدّارسين العرب القدامى، وأنّ القارئ لمّا يحاول الاطّلاع على مؤلّفات القدامى يجد من المعارف الدلالية ما لا تعد ولا تحصى، منها ما هو مستقل كقضايا دلالية متفردة، ومنها ما هو غير مستقل؛ كتداخل الدلالة مع علوم لغوية أخرى؛ كعلم الصوت، والصرف، والنحو، وكلّ ذلك راجع إلى أنّ الدلالة حاضرة حضورا إلزاميا ضمن تلك الجوانب اللغوية السابقة الذكر، بل يمكن أن يقال إن الدلالة هي قمة الدراسات اللغوية حسب رأي بعض العلماء.

ونجد من بين تلك العلوم التي تسارعت إلى تدارس النصّ القرآني لأجل فهم معانيه علم أصول الفقه، الذي يشهد على ذلك أنّ الباحث المطّلع على مؤلّفات الأصوليين القدامى سيجد أي كتاب لا يخلو من ذكره للقضايا الدلالية، مبتدئين كتبهم بما يُعرف بالمبادئ اللغوية؛ لأنّهم كانوا على دراية تامة بأن الأصولي قبل محاولته وضع قواعد أصول الفقه، لا بدّ عليه من التّفقه في الجانب اللغوي أولاً؛ باعتباره الركيزة الأساسية لمن يحاول التعامل مع النصّ القرآني والسّني في مجال استنباط الأحكام الشرعية. وفي دراسة الأصوليين للدلالة وتقسيماتها المختلفة نلحظ أن ذلك هو راجع إلى انقسامهم إلى مدرستين كبيرتين؛ مدرسة الشافعية أو المتكلّمين، ومدرسة الحنفية أو الفقهاء. وكل مدرسة تُقسِّم الدلالات حسب وجهة نظرها، ومنهجها المختلف عن المدرسة الأخرى، فلذلك وجب على أيّ باحث في مجال الدلالة أن يكون ملما - على الأقلّ- بتلك الاختلافات الواقعة بين المدرستين؛ وهي خلافات في جوهرها واقعة على المصطلحات فحسب. ولكن لا بدّ أن نعترف ونشيّد بجهود الأصوليين في مجال البحث الدلالي؛ لأنّهم حاولوا استثمار قضاياه في مجال استنباط الأحكام الشرعية من النصّ القرآني والسّني دون إغفالهم لقضايا التركيب، والسياق. ومن خلالهم عرفنا التطبيق، والإسقاط الفعلي والحقيقي لتلك الدلالات التي كانت محلّ دراسة عند اللغويين القدامى. ومن بين أقطاب الأصوليين الذين لهم باع في هذا الجانب، نجد الأصولي الحنبلي ابن القيم الذي نلمس من خلاله طروحات دلالية تتشابه مع ما جاء به الدرس الدلالي الحديث، منها ما يتعلّق بقضايا اللفظ والمعنى، ومنها ما يتعلّق بقضايا السياق، والتأويل والمجاز إلى غير ذلك من القضايا الدلالية، ولكن يستوجب منّا إطلالة خفيفة حول مفهوم الدلالة أوّلاً، ثمّ الإشارة إلى جهود هذا القطب في مجال البحث الدلالي ثانياً.

1- مفهوم الدلالة عند العرب والغرب:

-عند العرب: إذا نظرنا لمصطلح الدلالة في المدونات العربية القديمة من حيث معناها اللغوي لوجدناها تُجمع على أنّه من الهدي والإرشاد، حيث يقول ابن منظور: « ودَلَّ فلان إذا هَدى. ودَلَّ إذا افتخر... دَلَّ يَدِلُّ إذا هَدَى ودَلَّ يَدِلُّ إذا مَنَّ بعطائه...والدَّلُّ قريب المعنى من الهَدْي، وهما من السكينة والوقار في الهيئة والمَنْظر والشمائل وغير ذلك ...وقد دَلَّه على الطريق يَدُلُّه دَلالة ودِلالة ودُلولة، والفتح أَعلى» [1].

وفي القاموس المحيط نجد صاحبه لا يخرج عما قاله ابن منظور، حيث يقول الفيروز أبادي (ت817هـ): «الدَّلالة ما تدل به على حميمك، ودلَّه عليه دلالة ودلولة فاندل: سدده إليه... وقد دلّت تدل والدالّ

1 - لسان العرب، مادة)دلل)، 11/248-249.

كالهدي»[1]؛ فهو إذن من الهدي والإرشاد والسداد.ومن حيث المجاز: «الدالّ على الخير كفاعله، ودَلَّهُ على الصراط المستقيم وتناصرت أدِلّة العقل وأدِلة السمع، واستدَّل به عليه. وأقبلوا هدي الله دليلاه »[2].

ومن خلال تلك التعاريف في المدوّنات العربية القديمة، نجد أنّها تُجمع على أنّ «الدالّ والدليل هو المرشد والهادي مع حُسن سمتِه وهديهِ وهيئتِه، ودلّه إذا أرشده وهداه، واللفظ يُرشد إلى المعنى ويهدي إليه، ويستدل به عليه في تودّد ورفق"[3]؛ أي أنّ الدلالة هي من الهدي والإرشاد، ولمّا يقال: دلّه على الطريق المستقيم؛ أي هداه وأرشده إليه.وأمّا من حيث المفهوم الاصطلاحي العربي القديم، فأنّنا نجد الشريف الجرجاني (ت816هـ) يقول: «هي كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر، والشيء الأوّل هو الدالّ، والثاني هو المدلول"[4]؛ أي أنّ الدلالة تستوجب توافر قطبين هامّين؛ الدالّ والمدلول، فحضور أحدهما يستوجب حضور الثاني، وأنّ الدلالة لا تقوم على أحدهما دون الآخر، بل هما معاً.

-عند الغرب: وأمّا من حيث اصطلاح الغربيين فنجد أنّ كلمة دلالة Sémantique مشتقة من Sema "دالّ"، وقد كانت في الأصل صفة تدل على كلمة "معنى"[5]، ولم يصبح هذا العلم مستقلاً إلاّ بعد أن نشر ميشال بريال Michel Breal مقالته عام 1897م تحت عنوان "مقال في علم الدلالة، علم المعاني"[6]، أو من خلال الكتاب الذي نشره بعنوان Essai de Semantique من السنة نفسها[7]، وأنّه اصطلح على هذا العلم بعلم الدلالة، ويرى أنّ الدلالة هي دراسة جديدة جدّا إلى درجة أنّها لم تتلقّ اسما لها بعد، وأكّد على أنّها تنسب في الواقع بعد تجديدها وإغنائها إلى ما يسمّى بعلم المعاني.

ومن خلال طروحات بريال ظهر تحديد معالم هذا العلم، وأنّ الدارسين المحدثين الغربيين اتفقوا على أنّه العلم الذي « يدرس المعنى »[8]. وبالتالي اكتسب هذا العلم الاستقلالية الخاصّة عن علوم البلاغة مثل عند الغربيين، والتصقت عليه الصبغة العلمية والدرس العلمي، وأصبحت له أسس وقوانين تحكمه، ومبادئ يقوم عليها، وأُلّفت حوله المؤلّفات بمختلف أحجامها، وانبثقت عنه نظريات جديدة تصبّ كلّها في قالب دراسة المعنى.

2- مفهوم الدلالة عند ابن القيم: وإذا عرفنا من قبل أن المعاجم العربية القديمة تُجمع على أنّ لفظ الدلالة يحمل عدة معان تشترك في الهدي والإرشاد والسداد، فإنّ الثقافة الأصولية هي الأخرى نجد لها وعيا عميقا بهذه المعاني المتعدّدة التي يحملها هذا اللفظ، ومن ذلك ما نجده عند ابن القيم حينما عبّر عن مفهوم

---

1 - القاموس المحيط، مادة)دل)، 1292/1.

2 - أساس البلاغة، جار الله الزمخشري، مادة)دلل)، ص201، راجعه وقدم له أ.إبراهيم قلاني، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، المنطقة الصناعية عين مليلة، الجزائر.

3 - علم الدلالة اللغوية، د. عبد الغفار حامد هلال، ص14.

4 - التعريفات، الشريف الجرجاني، ص215، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، 1357هـ-1938م.

5 - ينظر علم الدلالة، بيير جيرو، ص16، ترجمة منذر عياشي، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ط1، 1988م.

6 - الدلالة اللغوية، عبد الكريم مجاهد، ص12.

7 - ينظر علم اللغة، محمود السعران، ص317. بينما يحدد فايز الداية سنة 1883 تاريخا لظهور هذا المصطلح عند بريال أيضا، ينظر في كتابه علم الدلالة العربي- النظرية والتطبيق، ص06، دار الفكر، دمشق، 1405هـ-1985م.

8 - علم الدلالة، جون ليونز، ص09، ترجمة مجيد الماشطة وآخرين، جامعة البصرة، بغداد، 1987م.

الدلالة التي هي من أصل "دلّ" قائلاً: "الدلالة: وهي التوصّل إلى الشيء بإبانته وكشفه، ومنه الدّل وهو ما يدل على العبد من أفعاله، وكان عبد الله بن مسعود يشبه برسول الله ﷺ في هديه ودله وسمته، فالهدي الطريقة التي عليها العبد من أخلاقه وأعماله، والدّل ما يدل من ظاهره على باطنه، والسمت هيأته ووقاره ورزانته"[1]؛ أي هي ما يتوصّل به من أجل الإبانة أو الكشف عن شيء ما، مع حسن الهيأة والسمت والوقار والرزانة.

المصطلح الدلالي عند ابن القيم، مع تفرقته بين الدِّلالة والدَّلالة: ولكننا في موضع آخر نجده يستخدم مصطلح الدلالة بمعنى خاصّ، مبدياً اطراداً ملموساً في منهجه التداولي، حيث نجده يفرّق بين مصطلحي الدَّلالة -بالفتح-، والدِّلالة -بالكسر-؛ فالأولى أرجعها إلى فعل الدالّ التي هي نتيجة قصد المتكلم، ودلالته للسامع بلفظه، أمّا الثانية فهي راجعة إلى ما فهمه السامع من ذلك اللفظ، وبالتالي حملت الدلالة معنى آخر، ألا وهو "الفهم"، وذلك لما يقول: « فدلالة اللفظ هي العلم بقصد المتكلم به، ويراد بالدلالة أمران: فعل الدالّ. وكون اللفظ بحيث يفهم معنى. ولهذا يقال دلّه بكلامه دلالة، ودلّ الكلام على هذا دلالة، فالمتكلم دالّ بكلامه، وكلامه دالّ بنظامه "[2]، وكذلك: «أن الدلالة يراد بها أمران: أحدهما: فعل الدالّ؛ وهو دلالته بلفظه، يقال له دلالة. والثاني: فهم السامع ذلك المعنى من اللفظ كما يقال حصلت له الدلالة، والأشهر أن الأوّل بكسر الدالّ، والثاني بفتحها...فالدلالة هي الفهم »[3]. وهناك من المعاني التي يحملها لفظ الدلالة عند ابن القيم نجد: الهداية، والإرشاد، والبيان، والإعلام، والتعريف، والتوصّل إلى الشيء، وشاهد الحال، وهي تصب في قالب واحد، وهو الإيضاح عن المعنى؛ حيث نرى أن لفظ الهداية نال تحليلا عميقا ودلاليا واسعا، حيث جعل ابن القيم لباب الهداية عشر مراتب مختلفة، وكلها تعود في الأصل إلى هذا الباب[4]. وإنْ وقف الراغب الأصفهاني عنها في أربعة أوجه فقط، فإنّ ابن القيم هو الآخر تحدث عن هذه الأوجه الأربعة زاد فيها تفصيلاً وتوضيحاً أكثر ممّا أشار إليه الراغب[5]؛ حيث قسّم هذا الأخير الهداية إلى أربعة أقسام تمحورت حول الهداية العامّة، وهداية الدلالة، وهداية التوفيق، والهداية المتعلّقة بالآخروية[6].

ولذلك نجد ابن القيم يعدُّ لفظ الهداية من الدلالة والبيان، حيث يقول: «الهداية: هي البيان والدلالة، ثمّ التوقيف والإلهام، وهو بعد البيان والدلالة. ولا سبيل إلى البيان والدلالة إلاّ من جهة الرسل. فإذا حصل البيان والدلالة والتعريف ترتب عليه هداية التوفيق، وجعلُ الإيمان في القلب، وتحبيبه إليه، وتزيينه في القلب، وجعله مؤثراً، راضياً به، راغباً فيه»[7]؛ أي أنّ مرتبة البيان والدلالة والتعريف تسبق مرتبة هداية التوفيق الحاصلة من توفيق المولى عزّوجلّ لعباده المؤمنين، وهدايتهم إلى الطريق المستقيم، وذلك في مثل

---

[1] - إغاثة اللهفان، 115/1.

[2] - الصواعق المرسلة، 743/2، ومختصر الصواعق، 145/1.

[3] - المصدر الثاني نفسه، 435/2.

[4] - وهذه المراتب هي كالآتي: التكليم، الوحي، إرسال الرسول الملكي إلى الرسول البشري، التحديث، الإفهام، البيان العام، البيان الخاصّ، الإسماع، الإسماع، الإلهام، الرؤيا الصادقة. ينظر مدارج السالكين، 47/1-56، والتفسير القيم، ص40-53.

[5] - ينظر الدلالة عن الراغب الأصفهاني من خلال المفردات في غريب القرآن، المغيلي خدير، ص33-34، إشراف أ.د. صفية مطهري، أطروحة دكتوراه، جامعة وهران السانيا، 2009-2010م (مخطوط).

[6] - ينظر معجم مفردات ألفاظ القرآن، مادة (هدى)، ص388-389.

[7] - مدارج السالكين، 29/1، والتفسير القيم، ص11، وينظر الصواعق المرسلة، 314/1-316، و365/1، و712/2-713، و757/2.

قوله تعالى: ﴿ **اهدنا الصراط المستقيم** ﴾. إنّ هذا الرأي نجده يتقاطع مع رأي أبي هلال العسكري (ت خلال 400هـ) لما تحدّث عن الفروق والمساحات الدلالية بين الهداية البيان والدلالة، حيث يقول: « البيان عند المتكلمين الدليل الذي تتبيّن به الأحكام، ولهذا قال أبو علي وأبو هاشم -رحمهما الله-: الهداية هي الدلالة والبيان، فجعلا الدلالة والبيان واحداً...وقال غيره: البيان هو الكلام والخط والإشارة...ومن قال هو الدلالة ذهب إلى أنّه يتوصّل بالدلالة إلى معرفة المدلول عليه، والبيان هو ما يصح أن يتبين به ما هو بيان له»[1]؛ فهو شبيه بما أشار ليه ابن القيم في أن الدلالة هلي ما يتوصّل بها لمعرفة الأشياء والتمييز بينها. وأمّا عن الأوجه الأربعة للهداية عند ابن القيم فأحدها وهو الهداية العامّة، والتي خصّ بها كلّ مخلوق من مخلوقاته بصفات تميزه عن غيره.

وثانيها وهو متمثّل في هداية البيان والدلالة والتعرّف لأجل التمييز بين الخير والشر، وبين طريقي النجاة والهلاك، لكن هذا الوجه من الهداية لا يستلزم الهدى التام. فإنّها سبب وشرط لا موجب. ولكن ينبغي الهدى معها في مثل قوله تعالى: ﴿ **وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى**﴾[2]؛ أي بيّنا لهم وأرشدناهم ودللناهم، ولكن لم يهتدوا[3]؛ لأن هذا النوع من الهدي هو هدي بعد البيان والدلالة، حيث يضيف ابن القيم في موضع آخر بخصوص الآية الكريمة: «فهذا هدي بعد البيان والدلالة، وهو شرط لا موجب. فإنّه إنْ لم يقترن به هدى آخر بعده لم يحصل به كمال الاهتداء، وهو هدي التوفيق والإلهام »[4]؛ أي أنّ الهدي لم يصل إلى التوفيق حتّى يكتمل اهتداء قوم ثمود، ولكنه توقف عند الهدي الذي هو بعد البيان والدلالة؛ أي لمّا بيّن لهم الطريق المستقيم وأرشدهم ودلّهم إليه لم يأخذوا به، ولم يهتدوا. بل فضّلوا العمى بدلاً من الهدي.

وأمّا الوجه الثالث للهداية فهو التوفيق والإلهام؛ وهي هداية من المولى عزّ وجلّ لعباده المومنين، وهي الهداية المستلزمة للاهتداء كقوله تعالى: ﴿ **وَلَكِن يُضِلُّ مَن يَشاءُ وَيَهدِي من يَشاءُ** ﴾[5].

وأمّا الوجه الرابع فهو غاية هذه الهداية، وهي هداية المولى ﷻ عباده إلى الحياة الآخروية؛ إلى الجنة أو النار، فيقول المولى ﷻ عن أصحاب الجنة: ﴿ **وَقَالُوا الحَمْدُ للهِ الَّذي هَدَانَا لِهَذَا وَمَاكُنَّا لِنَهْتدِي لَوْلاَ أَنْ هَدَانَا الله** ﴾[6]، وعن أصحاب النار: ﴿ **احْشُرُوا الَّذينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجهم وَمَاكَانُوا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ الله فَاهْدُوهُم إِلَى صِرَاطِ الجَحِيمِ** ﴾[7]. ولذلك يعتبر ابن القيم أن الهداية المخصوصة في سورة الفاتحة تجمع بين بين هداية البيان والدلال والتعريف والإرشاد، وهداية التوفيق والإلهام؛ أي بين الوجه الثاني والثالث[8]. وإذا

---

[1] - الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، ص75، علّق عليه ووضع حواشيه محمد باسل عيون السود، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1424هـ-2002م.

[2] - سورة فصلت، الآية 17.

[3] - ينظر بدائع الفوائد، 2/31-32.

[4] - مدارج السالكين، 1/51، والتفسير القيم، ص46.

[5] - سورة النحل، الآية 93.

[6] - سورة الأعراف، الآية 43.

[7] - سورة الصافات، الآيتان 22-23.

[8] - ينظر بدائع الفوائد، 2/32، ومدارج السالكين، 1/29، والتفسير القيم، ص12.

كانت من مراتب الهداية البيان، فإنّنا نجد ابن القيم يعد البيان من الوضوح والتمييز والإنابة والكشف عن الشيء، حيث يقول: « وهو تبيين الحقّ وتميزه من الباطل بأدلته وشواهده وأعلامه...قال الله تعالى: ﴿ **وَمَا أَرسَلْنَا مِن رَسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُم فَيُضِلُّ اللهُ من يَشَاءُ وَيَهْدِي من يَشاءُ وَهُو العَزِيزُ الحَكِيمُ** ﴾[1]؛ فالرسل تبين. والله هو الذي يضل من يشاء، ويهدي من يشاء بعزته وحكمته » [2]؛ أي أنّ البيان جاء للتوضيح للتوضيح وللتمييز، والرسل -صلوات الله عليهم- جاءت لتوضيح للعباد ما أشكل عنهم، وتبين لهم الطريق المستقيم، ولكن الهداية والضلال من المولى ﷻ.

وإذا كان البيان عند ابن القيم هو من التوضيح، فإنّنا نجد الجاحظ هو الآخر جعل البيان هو نفسه الدلالة، حيث يقول في تحديده لمفهوم البيان: « البيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجاب دون الضمير، حتّى يفضي السامع إلى حقيقته...فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضع » [3]؛ أي أنّ البيان هو السبيل في الكشف عن معنى الخطاب القائم بين المتكلم والمستمع، أو بين الباث والمتلقي. إنّ من معاني الدلالة -أيضا- عند ابن القيم نجد الإعلام والدليل وشاهد الحال؛ وهي كالنصبة، حيث يقول: « وأمّا بيانه وإعلامه بفعله: فهو ما تضمّنه خبره تعالى عن الأدلّة الدالّة على وحدانيته التي تعلّم دلالتها بالعقل والفطرة. وهذا -أيضا- يستعمل فيه لفظ الشهادة، كما يستعمل فيه لفظ الدلالة، والإرشاد، والبيان. فإنّ الدليل يبين المدلول عليه ويظهره، كما يُبيّنه الشاهد والمخبر، بل قد يكون البيان بالفعل أظهر وأبلغ» [4]، فهذا عن الإعلام والدليل. وأمّا عن دلالة الحال فنجده يقول: « وقد يسمى شاهد الحال نطقا وقولاً له وكلاماً، لقيامه مقامه، وأدائه مؤداه، كما قيل:

وقالت العينان: سمعا طاعة وحدَّرتا بالدُّر لما يُثَّقب »؛

ويفهم من ذلك أنّ شهادة الخلق على مخلوقات المولى ﷻ، وحال السماوات والأرض هي براهين دالّة على وحدانيته، فهي لا تحتاج إلى النطق أو التصريح من أجل الاعتراف، وإنّما هي ناطقة دون صوت، ومتكلمة دون لسان، وأنّ شاهد الحال التي أشار إليها ابن القيم هي ما تسمى بالحال عند الجاحظ لما تحدث عن الأصناف الدلالية الخمسة[5].ومن معاني الدلالة -أيضا- ما يبرز العلاقة الرمزية بين قطبي الدلالة؛ الدالّ والمدلول في قوله تعالى: ﴿ **أَلَم تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لجَعَلَهُ سَاكِناً ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيهِ دَلِيلاً** ﴾[6]؛ حيث يتبيّن من معنى النصّ حسب ابن القيم: « التنبيه على هذه الدلالة الباهرة على قدرة الرب سبحانه وعجائب مخلوقاته الدالّة عليه. والمعنى: انظر كيف بسط ربك الظل...وجعل الشمس دليلاً عليه، فإنّها هي التي تظهر وتبيّنه» [7]، وأنّه « خلق الشمس ونصبها دليلاً على ذلك الظلّ، فهو يتبعها في حركتها، يزيد

---

[1] - سورة إبراهيم، الآية 04.

[2] - مدارج السالكين، 1/51-52، والتفسير القيم، ص46.

[3] - البيان والتبيين، الجاحظ، 1/76.

[4] - مدارج السالكين، 2/1021، والتفسير القيم، ص183.

[5] - وهي: اللفظ، الخط، العقد، الإشارة، الحال التي تسمى نصبة. ينظر البيان والتبيين، الجاحظ، 1/76.

[6] - سورة الفرقان، الآية 45.

[7] - طريق الهجرتين، ص283.

بها، وينقص، ويمتد ويتقلص، فهو تابع لها تبعية المدلول لدليله»[1]؛ أي أنّ الدلالة الحاصلة في هذا النصّ هي نتيجة العلاقة الرمزية بين الدالّ والمدلول؛ باعتبار أنّه لولا الشمس ما عرف الظلّ، فالشمس تدل على وجود الظلّ؛ العلاقة شبيهة بعلاقة "النار بالدخان " الذي تحدث عنه علماء الدلالة مثالاً للعلاقة الطبيعية التي تربط الدالّ بمدلوله[2]. وهو ما حاول ابن القيم التعبير عنه في تحليله لآية الفرقان، وأن تنبّه إلى ضرورة وجود ركني الدلالة؛ الدالّ والمدلول، وذلك من خلال إشارته إلى أنّ الشمس دالّة على الظلّ. ومن خلال تتبعنا لمفهوم المصطلح الدلالي عند ابن القيم يتبن لنا أن هذا العالم لم يخرج عمّا قاله الأقدمون فيما يخصّ المعاني الشبيهة بمصطلح الدلالة، وأنّ تلك المعاني التي وجدناها عنده تتمثّل في: " القصد، الفهم، البيان، الهداية، التعريف، الإرشاد، الإعلام، شاهد الحال". وأنّ المصطلح العلمي للدلالة في الدرس الحديث لا يخرج عن هذه المعاني التي ساقها ابن القيم، ويمكن توضيحها في الترسيمة الآتية:

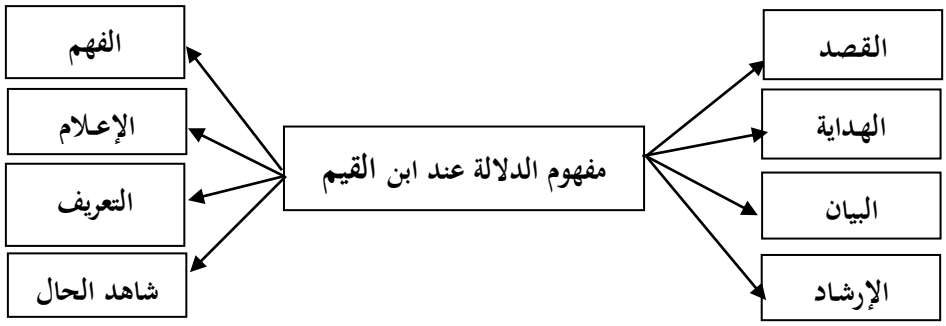

[1] - مدارج السالكين، 917/2، والتفسير القيم، ص376.

[2] - ينظر علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، منقور عبد الجليل، ص24، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001.